Alustath Journal for Human and Social Sciences

Volume 59 | Issue 3 Article 21

9-15-2020

The Issues of Critical Terms in Ibn Salam al-Jumhi's Book

Hisham Qasem Issa
الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية

Follow this and additional works at: https://alustath.uobaghdad.edu.iq/journal

Recommended Citation
Issa, Hisham Qasem (2020) "The Issues of Critical Terms in Ibn Salam al-Jumhi's Book," *Alustath Journal for Human and Social Sciences*: Vol. 59: Iss. 3, Article 21.
DOI: 10.36473/ujhss.v59i3.1139
Available at: https://alustath.uobaghdad.edu.iq/journal/vol59/iss3/21

This Article is brought to you for free and open access by Alustath Journal for Human and Social Sciences. It has been accepted for inclusion in Alustath Journal for Human and Social Sciences by an authorized editor of Alustath Journal for Human and Social Sciences.

اشكالية المصطلح النقدي عند ابن سلاّم الجمحي

م.د. هشام قاسم عيسى

الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم اللغة العربية

hasham 2015 7 @ gmail . com

تاريخ الاستلام : ٢٠١٩/٦/٢

تاريخ القبول : ٢٠١٩/٧/٥

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص :

يعمد هذا البحث إلى التركيز على القضية الاصطلاحية في كتاب ابن سلاّم لما يمثله المصطلح أولاً من أهمية وفاعلية ولما يفصح عنه ثانياً من جلاء للرؤية النقدية للناقد، فالمصطلح هو ملتقى الثقافات الإنسانية، وعاصمة العوالم اللغوية المتباعدة، إنه لغة العولمة بامتياز كبير ويمثل اشكالية نقدية عصيبة، ومعضلة من معضلات الخطاب النقدي العربي المعاصر.

ولم يكن المصطلح في كتاب ابن سلاّم مما يسهل استقراؤه والوقوف عند دلالته الخاصة، إذ تنقسم المصطلحات إلى مصطلحات عامّة سبقه النقاد إليها، وأخرى خاصة ابتدعها هو، وعُرف بها ولا سيّما مصطلح (الطبقة).

ويعد كتاب (طبقات الشعراء) أول المدونات النقدية العربية المنهجية وأقدمها، فقد كان النقد قبله آراء متناثرة لا يجمعها جامع .. يغرق في الذوقية، والتأثرية السائبة فجاء كتاب الطبقات ليكون كتاباً مستقلاً متخصصاً في النقد الأدبي.

كلمات مفتاحية لغة النقد ، المقصدية ، المصطلح ، الطبقة ، الفحولة ، الانتحال

The Issues of Critical Terms in Ibn Salam al-Jumhi's Book

Dr. Hisham Qasem Issa

Mustansiriya Universit / College of Education / Department of Arabic Language

Abstract

This research focuses on the terminological issue in Ibn Salam's book for two reasons: firstly, the significance and effectiveness of the term; secondly, the clarity of the critical vision of the critic. The term is the crossroads of human cultures, and the center of the distant linguistic worlds. It is the language of globalization with great distinction. It represents a serious critical problem. It is one of the dilemmas of contemporary Arab critical discourse.

The term was not in the book of Ibn Salam, which makes it easy to read and stand at its own significance. The terms are divided into general terms previously criticized by other critics, and other special terms that have been devised by him. It is worth mentioning that he was known by the term ''class''.

The book, *Classes of Poets*, is the first and oldest of the Arab systematic critical blogs. Criticism, before this book, was scattered opinions, not collected by a collector. It plunges into gustation and loose influences so the book of classes came to be a separate book specialized in literary criticism.

Key Words

Class, Destination, Language of Criticism, Plagiarism, Term ,Virility.

اشكالية المصطلح النقدي عند ابن سلاّم الجمحي

لغة النقد قبل ابن سلاّم

يمكن التفريق بين لغة الأدب (الأدبية) أو الأدب بوصفه تعبيراً ولغة النقد (الموضوعية) أو النقد بوصفه تفكيراً.. وهذا يعني التمييز بين لغتين: أدبية، ونقدية، تختلفان في السمات، والوظائف، والأهداف، والمقصدية، ولغة النقد تتسم بطابعها المعرفي، والأجرائي، ولا سيّما بعد التطوّر النقدي والمنهجي الذي شهده النقد في عصور الحداثة، فالنص النقدي " جهاز لغوي يحاول تقنين أو اعادة ترتيب لغة سابقة على وجوده، قصد اعطائها دلالات أو ابراز مكامنها" (خمري، ١٩٩٠، ص٦)(khamri, 1990, p6).

ووصفت لغة النقد بأوصاف كثيرة ولا سيّما في عصورنا الحديثة منها أنها " تكنولوجيا أدب" (فضل، ب.ت، ص٣٠٥)(Fadhel, n.d., p305) أو بأنها " لغة اللغة " (مان، ١٩٩٥، ص١٣)(man, 1995, p13) وهذا يؤكد أهمية اللغة النقدية، وبكونها تعبيراً عن الفكر النقدي للناقد التي تحدد منظوره ورؤيته النقدية، وبها يتباين النقاد ويختلفون الواحد عن الآخر .

ولم تكن لغة الناقد القديم بعيدة عن هذا الوصف أو المنحى، إلاّ أنّ الطبيعة الشفاهية في عصر ما قبل الإسلام، وحتى مجئ الإسلام، قد أثرت في لغة الناقد وجعلتها تتسم بالذوق، والتأثر، والانطباع " أما الفكر المنظّم وما ينبعث عنه من التحليل، والتعليل، والاستنباط فغير موجود " (شرف، ب.ت، ص٢٠٢)(Sharaf, n.d., p202)(و:ينظر:عباس، ١٩٨٧، ص١٤)(Look:Abbass, 1987, p14).

والملاحظ على اللغة النقدية التراثية نزعتها الانشائية وخضوعها لسلطة المجاز أو الشعر وهي لغة متأثرة بالبيئة وطبيعة المعارف السائدة، وفضاء الشعرية المهيمن، كما أنها كانت تتسم بالمعيارية، والحكمية، والارتجال وتكاد تخلو ولا سيّما في عصر ما قبل الإسلام من (البعد الوصفي).

وفي العصر الإسلامي خضعت اللغة النقدية للوعي الديني، وارتبطت بنظرة الإسلام إلى الشعر والموقف منه ولا سيّما الأحاديث النبوية التي تحاكم الشعر والشعراء، وتنقسم لغة النقد في القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى قسمين: الأول/ لغة الاحتجاج والاستشهاد اللغوي التي ترد

على ألسنة اللغويين، والثاني/ اللغة الفنية ذات النزعة الشعرية أو الجمالية التي ترتبط بالبناء الشعري وموضوعاته والسرقات الشعرية، ويمثل القرن الثالث الهجري مرحلة متقدمة تتفوق فيها اللغة على القرون السابقة بل ربما اللاحقة" فبعد أن كان النقد في الأغلب الأعم عبارات مبثوثة في المصادر يتناقلها الرواة الاخباريون" (مومني، ١٩٨٢، ص٣)(Mumni, 1982, p3) أصبح التأليف المنهجي المختص في قضايا الأدب واضحاً ولا سيّما على المستوى النقدي إلى أن وصل إلى أوج ازدهاره في القرن الرابع الهجري .

تفرّد الناقد العربي ابن سلاّم الجمحي (٢٣١هـ) بأهمية نقدية منهجية خاصة تمثلت بوضوح في عالمه الاصطلاحي الذي أظهره ناقداً علمياً دقيقاً يركّز على فاعلية النظرة المنهجية الدقيقة واللغة النقدية، وكان على علم ودراية بأن نقد الشعر (علم لا يعرفه إلا أهله وأصحابه)، وكتابه النقدي (طبقات فحول الشعراء) هو الكتاب المنهجي الأول في النقد العربي القديم الذي يعتمد على محددات، وأصول، ومنطلقات لا يمكن غض النظر عن قيمتها وعمقها النقديين.

وإذا كان النظر النقدي إلى كتاب ابن سلاّم لا يمكن أن يخرج عن سياقه التأليفي نجد أن هذا السياق يظهر في رغبة ابن سلاّم في وضع خطوط نظرية واجرائية يمكن من خلالها معالجة ظاهرة (الانتحال) في الشعر، وتخليص جيّد الشعر من رديئة، وصحيح الشعر من موضوعه .

وكان (الحس البدوي) حاضراً في كتاب ابن سلاّم فضلاً عن (الحس الديني) فتربية ابن سلاّم هي تربية دينية. يضاف إلى هذا معرفته العميقة بالشعر وأغراضه وأسرار بنائه.. فاجتمعت هذه الأسباب كلها لتصب في (طبقات فحول الشعراء) .

يعمد هذا البحث إلى التركيز على القضية الاصطلاحية في كتاب ابن سلاّم لما يمثله المصطلح أولاً من أهمية وفاعلية ولما يفصح عنه ثانياً من جلاء للرؤية النقدية للناقد، فالمصطلح هو ملتقى الثقافات الانسانية، وعاصمة العوالم اللغوية المتباعدة، إنه لغة العولمة بامتياز كبير ويمثل إشكالية نقدية عصيبة، ومعضلة من معضلات الخطاب النقدي العربي المعاصر (ينظر:وغليسي، ٢٠٠٨، ص١١)(Look:Weghlissi, 2008, p11)

ولم يكن المصطلح في كتاب ابن سلاّم مما يسهل استقراؤه والوقوف عند دلالته الخاصة، إذ تنقسم المصطلحات إلى مصطلحات عامّة سبقه النقاد إليها، وأخرى خاصة ابتدعها هو، وعُرف بها ولا سيّما مصطلح (الطبقة) .

ويعد كتاب (طبقات الشعراء) أول المدونات النقدية العربية المنهجية وأقدمها، فقد كان النقد قبله آراء متناثرة لا يجمعها جامع.. يغرق في الذوقية، والتأثرية السائبة فجاء كتاب الطبقات ليكون كتاباً مستقلاً متخصصاً في النقد الأدبي .

حظي كتاب ابن سلاّم باهتمام النقاد والدارسين.. واستقرت كثير من الآراء _ التي جاء بها ابن سلاّم _ بوصفها أصولاً للنقد الأدبي ومعاييره، فكانت الأساس المعتمد عليه عند النقاد الذين جاؤوا بعده فاهتموا به وبمباحثه، وكانت قضاياه النقدية محوراً لمناقشاتهم وآرائهم .

حاول ابن سلاّم أن ينظر في الشعر العربي وأن يصنّفه (تصنيفاً طبقياً)، فأنزل الشعراء منازلهم وبحسب أزمانهم إلى جاهليين ومخضرمين وإسلاميين إذ يقول: " ثم إنا اقتصرنا _ بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم _ إلى رَهْطٍ أربعة، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة، ثم اختلفوا فيهم بَعْدُ. وسنسوق اختلافهم واتفاقهم، ونسمِّي الأربعة، ونذكر الحجة لكل واحد منهم _ وليس تَبْدِئَتُنَا واحدًا في الكتاب ليُحكم له، ولا بد من مبتدأ _ ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون في الحديث والمعنى (الجمحي، ١٩٨٠، ص٥٥)(Al-Jumahi, 1980, p55).

واعتمد ابن سلاّم أكثر من معيار في تقسيم الشعراء أولها: (المقياس الزمني) أو التاريخي عندما تناول مسألة القدم، وثانيها: (التقسيم الحسابي) عندما أدخل أربعين شاعراً في الطبقات، في كل طبقة أربعة شعراء مما اضطره إلى خرق المقياس الفني عند اضطراره لتأخير شاعر قد تساوى مع أقرانه، إلاّ أن الحساب لم يسعه في الطبقة التي من الممكن أن ينسب إليها فوضعه في الطبقة اللاحقة على الرغم من أن الشاعر لا يستحق التأخير، يقول مثلاً عن أوس بن حجر: " أوس نظير الأربعة المتقدمين إلا أننا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رَهْط "(الجمحي، ١٩٨٠، ص٥)(Al-Jumahi, 1980, p5).ولكنّ هذا الاستدراك الحسابي كان محدوداً فقد التزم بمنهجه في الكتاب بوعي منهجي كبير ومن المقاييس الأخرى التي اعتمد عليها هو (المقياس الفني) عندما جعل الجودة أساساً للاختيار وكذلك (المعيار الديني) عندما أفرد لشعراء اليهود طبقة خاصة بهم، وكان (للبيئة) أهمية في مقاييس ابن سلاّم عندما وضع طبقة لشعراء القرى العربية .

مقصدية تأليف كتاب الطبقات

عند قراءة كتاب الطبقات وابتداءً من مقدمته يتحصل في أذهاننا (المقصدية التأليفية) التي كانت وراء تأليف الكتاب ألا وهي (المقصدية التوثيقية) فقد سعى ابن سلاّم إلى فحص النصوص الشعرية وتحقيقها بروح علمية مرتكزة على أساس منطقي وذلك من خلال تخليص الشعر من الدخيل، وربط الشعر بالرواية، فتطرق لفكرة الانتحال _ أي أن ينسب للشاعر ما ليس له _ وأراد أن يميز الشعر الصحيح من المنحول فضلاً عن اعتماده على المقياس الثلاثي (القدم، الكم، الجودة) أساساً للوصول إلى هدفه من تأليف الكتاب وهو تخليص (صحيح الشعر من منحوله). فكان من النقاد التوثيقيين الناجحين في مجال الأخبار والأشعار والأنساب، وبدا منهجه رائداً في التحقيق النقدي اعتمد عليه لاحقوه من النقاد والمحقّقين في جمع المادة وتصنيفها والتعليق والمقارنة مع الأدلة والشواهد .

ولم تكن دوافع تأليف الكتاب نقدية (خالصة) كما تمثلت لدى ابن سلاّم بل كانت ثمة أغراض أخرى مضافة ترتبط بما وجده في الشعر من معرفة تاريخية واجتماعية تفضي إلى معرفة المجتمع العربي، إذ أدرك الوظيفة الاجتماعية التي ينهض بها الشعر والشعراء، وأعلى من شأن (طائفة الفرسان والأشراف) الذين اسهموا في صناعة الأحداث التاريخية، وكانوا شواهد على العصر، فضلاً عن الجهود التي بذلها في جمع اللغة وتدوين التراث، وجمع آراء علماء اللغة في الغريب الوارد في شعر الشعراء .

ومن الممكن أن نصنّف قصد ابن سلاّم التأليفي في هدفين (عام)، و(خاص) أمّا (العام) فيدور في جمع أشعار القدماء والحديث عن أيامهم وأخبارهم وتصنيفهم في طبقات تجمع أشعر العرب في مذهب من مذاهب الشعر، أو نهج من مناهجه، أو ضرب من ضروبه فمفهوم الطبقة عند ابن سلاّم بمعنى المذهب أو رأس المذهب (ينظر: موافي، ٢٠٠١، ص١٠٩)(Look:Muwafi, 2001, p109).

أما (القصد الخاص) فهو تخليص ذلك الشعر العالي مما علق به من شوائب وما أضيف إليه من مصنوع مفتعل.

ابن سلاّم والمصطلح النقدي

ظهر عند ابن سلاّم ولع بالمصطلح النقدي ودراية به، وكان في كتابه يربط المصطلح بالمنهج فماثل في هذا الأمر ما سار عليه النقد الحديث من ربط المصطلح بالمنهج، وأن التسليم بأن أسلافنا لم يستخدموا هذه الكلمة أي (المصطلح) هو استقراء ناقص على الرغم من استخدام كلمة مصطلح عنوانًا لبعض الكتب التراثية منها : كتاب (التعريف بالمصطلح الشريف) للقاضي ابن فضل العُمري، وكتاب (بُلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب) للشيخ محمد مرتضى الزبيدي وغيرها فضلاً عن ورود كلمات أخر من طراز(الاصطلاحات)، و(الحدود)، و(المفاتيح)، و(الاوائل)، و(التعريفات)، و(الكليات) (ينظر:وغليسي، ٢٠٠٨، ص٢٥ وما بعدها)(Look:Weghlissi, 2008, p25)..ألخ .

ولا يعني هذا أن ابن سلاّم قد استخدم لفظة مصطلح بالصياغة اللسانية الحديثة بل نجده استخدمها اجرائياً بما يمكن أن يصنّف إلى صنفين هما: المصطلحات النقدية العامّة، والمصطلحات النقدية الخاصّة.

المصطلحات النقدية بين العام والخاص

المقصود بالمصطلحات العامة تلك المصطلحات التي لم يكن ابن سلاّم قد ابتدعها وكان أول من أدارها في كتابه بل أنها كانت متداولة عند النقاد السابقين فتابعهم فيها أو أضاف إليها دلالات نقدية تنسجم مع هدفه التأليفي ورؤيته النقدية وهذا يجعلنا نصف مصطلحات ابن سلاّم بالمصطلحات العامّة_الخاصّة، ويمكننا تلخيص هذه المصطلحات في أربعة مصطلحات هي: الطبقة، والفحولة، والانتحال، والناقد .

وهذا يعني أن ابن سلاّم لم يستخدم هذه المصطلحات كما استخدمها سابقوه من النقاد بل على العكس فقد أضفى عليها الدلالة النقدية الخاصة المرتبطة به وبوعيه النقدي، وسنقف فيما يأتي عند هذه المصطلحات تباعاً ونفصّل القول في دلالتها لديه:

١_ مصطلح الطبقة :

ترد لفظة الطبقة بأكثر من مدلول في لسان العرب ولعل أبرزها هي المساواة ومن ذلك قوله: "وقد طابقه مطابقة وطباقاً وتطابق الشيئان تساويا والمطابقة الموافقة والتطابق الاتفاق" (ابن منظور، ١٩٩٧، ص٢٠٩/١)(Ibn Mandhur, 1997, p1\209).

ولا يخفى بأن المعنى اللغوي هو معنى عام يختلف عن المعنى النقدي الخاص، وأن انتقال اللفظ من العام إلى الخاص يجعله مصطلحاً والطبقة عند ابن سلاّم تحمل معنى المساواة وليس التطابق أي وجود بعض المشتركات بين شعراء الطبقة الواحدة وقد وردت الطبقة بدلالات ومعان ومقاييس مختلفة لدى ابن سلاّم نظر إليها على أساس الزمان، والمكان، والفن فضلاً عن الموضوع، والغرض، والدين (ينظر :مطلوب، ٢٠٠١، ص٨٧)(Look:Matloob, 2001, p87).

ولعل أصول مصطلح (الطبقة) تعود إلى علماء الحديث الذين كانوا يضعون الرواة في طبقات حتى تُعرف أزمانهم وأجيالهم، فتسهل دراسة أسانيدهم غير أن الأمر لم يقتصر على هذا ، بل تعداه إلى ميادين أخرى فوضع العلماء المؤلفات في طبقات الشعراء وطبقات النحاة واللغويين وغيرهم .

ونجد أن ابن سلاّم قد تأثر بالأسباب التي اعتمد عليها علماء الحديث في تصنيف الرواة وطبقاتهم؛ فاستعار مقاييسهم التي تعتمد على مقياس (الجرح والتعديل) واستعاض عنها بالمقاييس النقدية ومنها مقياس الكم، والقدم، والجودة الفنية، وألف كتابه على هذا الأساس فصنّف شعراء الجاهلية عشر طبقات، في كل طبقة أربعة شعراء، فاختار من أشعار الجاهليين أربعين شاعراً وصنع الأمر ذاته مع طبقات الشعراء الإسلاميين وتبعهم بأربعة شعراء في طبقة أصحاب المراثي واثنين وعشرين شاعرًا في طبقة شعراء القرى العربية وثمانية شعراء في طبقة شعراء اليهود فهم جميعاً مائة وأربعة عشر شاعراً .

ورتّب ابن سلاّم الشعراء داخل الطبقة الواحدة وفقاً لأهميتهم وأقوال العلماء فيهم .

وناقش آراء علماء اللغة وأقوالهم في شعرائه المختارين فكان يختلف معهم أحياناً ويتفق معهم في مواضع أخرى وبدت اختياراته خلاصة لموقفه النقدي من الشعراء

ويبدو أنه قد فهم مصطلح الطبقة فهماً خاصاً به يدل على ذوقه واستحسانه ففحول الطبقة هم المثال والنموذج الشعري الذي ينبغي احتذاؤه، وأن أمثالهم من الشعراء خارج الطبقة متفقون معهم في قوة الشاعرية "فاختصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات أربع في كل طبقة متكافئين معتدلين " (الجمحي، ١٩٨٠، ص١٤٧)(Al-Jumahi, 1980, p147).

وهذا يعني أن (الطبقة) لدى ابن سلاّم مصطلح يخرج من العموم إلى الخصوص ليعني المنزلة الشعرية التي يمنحها ابن سلاّم للشاعر التي تؤهله للاندراج في هذه الطبقة من دون سواها، على الرغم من أنه كان يحار في هذا الأمر حين يجد أن الشعراء متكافئون في منزلتهم ولكن منهجه الحسابي لا يستوعبهم.

ومن الواضح أن هذا المصطلح يرتبط بمصطلح (الفحولة) التي هي وصف للشعرية في حين أن (الطبقة) هي وصف للمكانة أو المنزلة .

٢_ الفحولة :

سبق الأصمعي ابن سلاّم في ابتداع هذا المصطلح في كتابه فحولة الشعراء مع الأخذ بالحسبان أنه كان ينطلق في كتابه من رؤية لغوية وهذا يعني أن ابن سلاّم هو أول ناقد يستخدم مصطلح الفحولة بالدلالة النقدية فكانت دلالة المصطلح أيضاً تتجاوز الاستخدام اللغوي القديم وتحمل معنى جديداً هو الابداع الشعري والغلبة في الميدان أو المذهب أو الغرض الشعري، فالفحولة انتقلت من الدلالة اللغوية التي كانت تدل على الذكر من الحيوان أو غيرها من المعاني اللغوية المرادفة إلى ميدان الشعر والشعراء لتوصف بها طبقة من الشعراء تفوقت على سواها في الموهبة والإبداع الشعريين وفحول الشعراء اصطلاحاً هم الذين غلبوا بالهجاء من هجاهم مثل جرير والفرزدق وأشباهما (ينظر: الناقوري، ١٩٨٤، ص٣٦٤)(Look:Nakouri, 1984, p364).

وعلى الرغم من سبق الأصمعي لابن سلاّم في المصطلح إلا أنه كان لا يخضع لديه لمعايير نقدية منهجية كما هي عند ابن سلاّم فضلاً عن الإيجاز والاختزال الغالب على آراء الأصمعي وافتقارها إلى التعليل والتبرير (ينظر: طبانة، ١٩٦٩، ص١٥٤)(Look:Tabanna, 1969, p154).

وفي معرض استخدام هذا المصطلح لدى ابن سلاّم نجده يدل على الفحول المشهورين بقوله: اقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً.. وهذا يعني أنه أيضاً قد أعمل ذوقه واختياره في انتخاب هؤلاء الفحول من بين سواهم من الفحول، أو أن سواهم لا يصلون إلى المرتبة الشعرية المقنعة له لإدراجهم في طبقاته هذا من جانب، ومن جانب آخر نجده التفت إلى أن الفحولة هي (مذهب وطراز من الشاعرية والقول) يختلف فيها الشعراء ويتفاوتون ؛ مما يجعل امكانية تصنيفهم في طبقات أمرًا ممكنًا.

وكانت الفحولة عند الأصمعي مطلقة اختار بها الشعراء الجاهليين الأكثر شهرة وقوة شاعرية طبقاً لما هو سائد في زمنه، بينما هي عند ابن سلاّم (محددة) و(مخصصة) على أسس ومقاييس كمية؛ كثرة النتاج الشعري وتعدد الأغراض، وفنية؛ من حيث قوة الشعرية وسلامة اللغة وجمالها .

٣_ الانتحال :

لم يكن مصطلح (الانتحال) مصطلحاً نقدياً إلاّ مع ابن سلاّم فقد كان مصطلحاً شائعاً ومتداولاً في علم الحديث إلاّ أن المصطلح دخل الفضاء النقدي مع الأصمعي حين يقول إنّ كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه وفي ذلك يقول ابن سلاّم: "وفي الشعر مصنوع مفتعل كثير لا خير فيه، ولا حجة في شعريته، ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج" (الجمحي، ١٩٨٠، ص٤)(Al-Jumahi, 1980, p4).

وقد تابع النقاد اللاحقون ابن سلاّم في هذا المصطلح ومفهومه ودلالته أمثال القاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، وابن رشيق في كتابه (العمدة) تحت باب السرقات الشعرية.

أمّا الخصوص الذي منحه ابن سلاّم للمصطلح فمتأت في بحثه المنهجي في أسبابه وعوامل تفشيه، وحدد عوامل الوضع الشعري فردها إلى عاملين هما: العصبية القبلية، وعبث الرواة. فكان البحث في هذه الأسباب أو مجرد ذكرها دليل على أنّ النزعة التوثيقية هي التي دعت ابن سلاّم إلى التنبه إلى وضع الشعر والانتحال فيه ليخلص الشعر مما يعلق به مما ليس منه .

ومن اللافت للنظر أنّ دلالة المصطلح عند ابن سلاّم قد استقرت عند اللاحقين من الدارسين والعلماء والنقاد ولم تفارق ما وجده فيها فقد " شاع مصطلح الانتحال ليدل على قضية الشك في الشعر الجاهلي ويؤشر بعضهم استخدام مصطلح النحل ويحدده بأنه وضع قصيدة ما أو بيتاً وأسناد ذلك لغير قائله " (علي، ١٩٧٨، ص٩/٣٥٥)(Ali, 1978, p9\355).

وبذلك نلحظ أنّ مصطلح الانتحال قد خرج من المعنى العام المتصل بالحديث والانتحال والوضع فيه إلى دلالة نقدية تعتمد على المعرفة بالشعر ومرجعيته القبلية والاجتماعية فضلاً عن الفنية .

٤_ الناقد :

لاشك في أنّ مصطلح الناقد هو مصطلح تأخر ظهوره إلى القرن الرابع الهجري عندما ألّف قدامة بن جعفر كتابه (نقد الشعر) وهو أول استخدام صريح للمصطلح، إلاّ أنّ المفهوم النقدي المعبِّر عن هذا المصطلح كان شائعاً ومتداولاً لدى النقاد القدامى الذين سبقوا ابن سلاّم وصولاً إلى عصره، وكان المفهوم اللغوي هو المتسيّد على دلالة المصطلح والذي يعني التمييز بين صحيح الدراهم وزائفها ومنه اشتق النقاد مفهوم النقد الذي حافظ على رسم الكلمة ودلالتها التمييزية _ المعيارية ليصبح النقد هو التمييز بين جيد النصوص ، ورديئها والناقد هو من يتولى هذه المهمة التي تقابل وظيفة أو مهمة الصيرفي..

ومن اللافت للنظر أنّ ابن سلاّم هو أول ناقد فصّل في هذا المفهوم، وأسبغ على مصطلح النقد الدلالة العلمية والمنهجية الخاصة، فلا ينهض بمهمة الناقد كل متذوق للشعر بل أنّ ثمة شروطاً ومؤهلات ينبغي توفرها لهذه المهمة " وللشعر صناعة، وثقافة يعرفها أهل العلم بها كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما يثقفه اللسان... فكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به " (الجمحي، ١٩٨٠، ص٥)(Al-Jumahi, 1980, p5).

ونلمس من هذا النص أنّ ابن سلاّم نظر إلى الناقد نظرة نقدية خاصة به لم يلتفت إليها من سبقه من النقاد كما التفت هو إليها فقد ساوى بين العالم والناقد ولم يجعل مهمته تقتصر على إصدار الأحكام الذوقية ما لم تكن مشفوعة بالعلم والدراية والدربة والمران وبذلك دخل مصطلح النقد الفضاء الاصطلاحي الخاص لابن سلاّم على الرغم من أن مفهومه متداولاً عند سابقيه من النقاد، ولا سيّما أنه ربط مهمة الناقد بقدرته على تخليص الشعر الصحيح مما ينسب إليه وهو ليس منه أي أنه صار جزءاً من مقصدية ابن سلاّم التوثيقية .

وكانت المصطلحات المختلطة التي تجمع بين العام والخاص في كتاب الطبقات هي المصطلحات النقدية (القارة) في المنظومة الاصطلاحية القديمة التي تتسم بالثبات والاستقرار، وهذه الحزمة الاصطلاحية كانت تعني (المصطلحات المتداولة التراثية) .

ومنذ مقدمة الكتاب استعان ابن سلاّم للدفاع عن مقصدية طبقات الشعراء التأليفية وتخصيب رؤيته النقدية بالبعد الوصفي لمنهج الكتاب الذي يستند إلى الرؤية التوثيقية في اعتقاد راسخ _ بأنّ الاجراءات المنهجية أو باللغة النقدية القديمة_ أنّ فهم الشعر وتذوقه وتفسيره لا بدّ من أن يكون مستنداً إلى متن نقدي صحيح لا يشوبه الانتحال أو الإسناد غير الصحيح، وهذا

يعني أنّ المصطلحات النقدية العامّة تمثل المقاييس النقدية التداولية أو السائدة وهي المداخل النقدية التي تعيننا على فهم الرؤية النقدية العربية القديمة وفهم تحوّلاتها وأنساقها النقدية المهمة .

لم تكن المصطلحات المختلطة التي مرّت بنا هي مصطلحات بعيدة عن الخصوص النقدي لابن سلاّم فهو قد أدخلها في منهجه ورؤيته النقديين إلاّ أنّ ثمة مصطلحات خاصة كانت تمتاز بالمركزية والانتشار في كتابه فقد بنى نقده عليها ومن هذه المصطلحات التي هي أقرب إلى المفاهيم المنهجية: التجديد، والكم الشعري، وشعراء القرى العربية، وشعراء الواحدة، ومصطلح الصناعة .

اقترن (التجديد) في طبقات فحول الشعراء (بالسبق والريادة) وحمل دلالة (الابتداع)، ولم يكن هذا المصطلح قد عُرف بهذه الدلالة قبل ابن سلاّم، بل كان النقاد يمجدون الاحتذاء والنسج على منوال الأقدمين ، ومن ذلك تبريره لتقديم امرئ القيس على شعراء طبقته " ولكنّه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب وأتبعته فيها الشعراء " (الجمحي، ١٩٨٠، ص٥٥)(Al-Jumahi, 1980, p55).

أمّا المقصود (بالسبق) فهو التقدم الزمني وهو مقياس زمني يقصد به البدء الإبداعي في مجالات الكتابة والإبداع بعامة، وهو يرتبط بالإبداع أو الاتباع فالسبق لديه يرتبط بالريادة الإبداعية وهذا سبق نقدي لديه .

أمّا (الكم الشعري) فهو مصطلح مرتبط بمقاييس ابن سلاّم وهو أكثر المصطلحات التصاقاً بمنهجيته النقدية إذ أدار فكرة الطبقات على أساس هذا المقياس، وصنّف الشعراء الفحول على وفقه، ويقصد به كثرة الشعر أو النتاج الشعري، فكلما كان الشاعر مقوالاً مكثراً كان له من النصاب ما يرتقي به إلى مصاف الفحول إذ لا بد للشاعر أن يقول عدداً من القصائد التي يرتقي بها إلى مصاف الفحول ودرجاتهم العليا يقول ابن سلاّم: " وكان الأسود شاعراً فحلاً فيُذم ويحمد له وفي ذلك أشعار وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأول الشعر لو كان شفعها بمثلها قدمناه على مرتبته "(الجمحي، ١٩٨٠، ص١٤٧)(Al-Jumahi, 1980, p147).

وإنّ الكم الشعري يرتبط لدى ابن سلاّم أيضاً بما انتهجه من القسمة الحسابية التي قسّم على أساسها الشعراء إلى عشر طبقات في كل طبقة أربعة شعراء مما يلفت النظر إلى وعيه بضرورة الالتزام بضابط منهجي في النظر إلى الشعر ينظّم الاختيار ويقنّن الحكم الشعري فضلاً عن مقياسي الجودة، والزمن الشعريين .

وبدا مصطلح (شعراء القرى العربية) من المصطلحات الخاصة بابن سلاّم أيضاً وهو مقياس شذّ به ابن سلاّم على طبقاته العشر التي التزم بها، وخرق بها نظامه العشري، ولعله أدرك هذا المقياس متأخراً فلم يرد أن يفلت منه، وعنى ابن سلاّم بشعراء القرى العربية خمس قرى هي: " المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وأشعرهن قرية المدينة " (الجمحي، ١٩٨٠، ص٢١٥)(Al-Jumahi, 1980, p215). وهو باعتماده على هذا المقياس بدا ناقداً متفرداً في عنايته بالسياق المكاني والجغرافي وجعله مقياساً لاختيار فحول الشعراء .

وكان مصطلح (شعراء الواحدة) مما عُرف به ابن سلاّم أيضاً وقد يبدو للوهلة الأولى أنّ هذا المصطلح يعني أنّ صاحبه قد أبدع قصيدة واحدة عصماء جعلته يُعدّ من الفحول لدى ابن سلاّم ولا سيّما أنّه ناقد أولى الجانب الحسابي عنايته النقدية الفائقة..أمّا الواقع النقدي فغير ذلك شعراء الواحدة ليسوا من الذين كتبوا قصيدة واحدة، وإنّما قصد به (قصداً نقدياً) نوعيّاً، فالواحدة هي: القصيدة المميزة من بين نتاج الشاعر التي صعد بها إلى مرتبة الفحول، وذلك جلي في مختارات الجمحي التي أوردها لأنّ لكل من الشعراء الذين اختار قصائدهم الواحدة غير ما اختار وما ذكر، وكثيراً ما كان يقول: " وله غير ما ذكر ولكن ما اشتهر منه وأجاد فيه هو قصيدته المشهورة وعلى هذا المعيار الخاص جعل ابن سلاّم معلقة عنترة بن شدّاد واحدته لأنّها نادرة برأيه على الرغم من أنّ له شعراً سواها بعد أن ذكر قصيدته

يا دارَ عَبْلَةَ بالجواءِ تكلَّمِي وعمِّي صبَاحًا دارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

حيث يقول وله شعر كثير، إلاّ أنّ هذه نادرة فألحقوها مع أصحاب الواحدة " (الجمحي، ١٩٨٠، ص١٥٢)(Al-Jumahi, 1980, p152).

ولمصطلح (الصناعة) أهمية خاصّة في كتاب فحول الطبقات فقد قرن دلالة النقد ووظيفته الخاصة (بالصناعة) وهو لم يستخدم هذا المصطلح فقط بل اشتق منه مصطلح (المصنوع) وميّز بين دلالة المصطلحين تمييزًا نقديًا دقيقًا .

ونلحظ أنّ ابن سلاّم، يربط المصطلح بسياقه النقدي التأليفي ولا يتعامل معه بعفوية بل بمقصدية واضحة وسياقات دالة يقول في وظيفة النقد الصناعية أو المهارية: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم بها كسائر الصناعات..." (الجمحي، ١٩٨٠، ص٥)(Al-Jumahi, 1980, p5).

وفي هذا النص يظهر بوضوح وعي ابن سلاّم النقدي، وهو وعي مزدوج فهو يجعل الشعر(صناعة) فردية تفترض وجود خبير بها يمتلك المؤهلات اللازمة لإدراكها فليس التذوق وحده قادرًا على الإمساك بأسرارها فالشعر باعتباره صناعة يحتاج إلى الدقة في إدراكه، ويحتاج الشعر إلى ناقد صانع يناظر بصنيعه النقدي عمل الشاعر "والحق أنّ ابن سلاّم لا يتحدث هنا عن الشعرية وحدها وكيف تتهيأ للشاعر، ولكنّه يتحدث عن كيفية اهتداء الناقد إلى معرفة المستوى الفني في كتابته الشعرية" (مرتاض، ٢٠٠٧، ص١٨)(Murtad, 2007, p18).

فمؤهلات الناقد وطاقته الشعرية لا تقل عن مهمة الشاعر وطاقته المقابلة، وبهذا هو يناظر الرؤية النقدية الحديثة التي تنظر إلى الناقد نظرة مساوية إلى الشاعر من حيث الإدراك، والوعي، والإبداع . ويورد ابن سلاّم مصطلح (مصنوع) في سياق آخر بمعنى (موضوع) أو (مفتعل) بما يجانس السياق التوثيقي النقدي في كتاب الطبقات الذي تكلمنا عنه يقول ابن سلاّم: "وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه" (الجمحي، ١٩٨٠، ص٦)(Al-Jumahi, 1980, p6).

وهذا يعني أنّ الشعر الموضوع والمفتعل يحتاج إلى صناعة وخبرة ولكنّها سلبية وليست إيجابية، وقد كان هذا الأمر مما شغل ابن سلاّم، وتأثر فيه بعلماء الحديث وجهودهم في تأصيل الأحاديث والتحقق من نسبتها إلى الرسول الكريم. فتأثر بهم بحكم حسه الديني واستفاد من خطواتهم المنهجية في هذا الأمر لتخليص صحيح الشعر من منحوله .

وممّا تقدّم يتضح لنا تكامل النظرة النقدية العامّة والخاصّة لدى ابن سلاّم في كتابه الطبقات، فالمصطلحات العامّة اكتسبت دلالة خاصّة أضفاها عليها ونقلها من دلالتها القديمة إلى الدلالة الجديدة المرتبطة بمقصدية التأليف التوثيقية في كتاب الطبقات ..

والمصطلحات الخاصّة لم تكن ببعيدة عن العرف النقدي التراثي السابق لابن سلاّم على الرغم من أنّه قد منحها ذاتيته وقصده التأليفي .

وتمثلت في عناية ابن سلاّم بالمصطلح حقيقة عنايته المبكرة بالمنهج الذي لم يكن قد عرف الظهور في الفضاء النقدي قبل ابن سلاّم فضلاً عمّا يرتبط بهذه العناية من نزوع علمي قلّما نجده عند غيره من النقاد العرب السابقين له بل أغلب اللاحقين له .

وبذلك كانت رؤية ابن سلاّم المزدوجة إلى المصطلح _ المنهج تعبيرًا واضح المعالم عن المسار المنهجي الذي اتخذه النقد في التراث النقدي العربي الذي يفنّد المزاعم النقدية التي تجرِّد الناقد العربي القديم من الفكر المنهجي وتنسب له الصفة الذوقية المجرّدة ..

وبدت الصورة الاصطلاحية في (طبقات الشعراء) صورة ناطقة بما كانت عليه لغة النقد التي يمتزج فيها الأدبي بالعلمي، والذوقي بالمعرفي التقني بما يسهم في إنطاق الوعي النقدي بما يعبر عنه في كليته ومنحاه ومرجعياته التي تتفرع إلى سياقات علمية _ ذوقية تتزاوج فيما بينها لتركيب لغة نقدية هي لسان عصرها ولغة نقدها .

المصادر العربية

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (١٩٩٧). لسان العرب، بيروت: دار صادر.

الجمحي، ابن سلاّم (١٩٨٠). طبقات فحول الشعراء، دار المدني.

خمري، حسين (١٩٩٠). بنية الخطاب النقدي، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامّة.

شرف، حفني (ب.ت). النقد الأدبي عند العرب، دار مكتبة الشباب.

طبانة، بدوي (١٩٦٩). دراسات في نقد الأدب العربي، ط٥، القاهرة: الأنجلو المصرية.

عباس، إحسان (١٩٨٧). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٢، دار الثقافة.

علي، جواد (١٩٧٨). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار الكتب للملايين، مكتبة النهضة.

فضل، صلاح (ب.ت). انتاج الدلالة الأدبية، القاهرة: مختار للنشر والتوزيع.

مان، بول دي (١٩٩٥). العمى والبصيرة، ط١، الإمارات العربية المتحدة.

مطلوب، أحمد (٢٠٠١). مصطلحات النقد العربي القديم، لبنان.

موافي، عثمان (٢٠٠١). دراسات في النقد الأدبي، ط٤، مصر: دار المعارف.

مومني، قاسم (ب.ت). نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الثقافة.

الناقوري، أدريس (١٩٨٤). المصطلح النقدي في نقد الشعر، ط٤، ليبيا: المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والاعلان.

وغليسي، يوسف (٢٠٠٨). اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الجزائر: منشورات الاختلاف.

مرتاض، عبد الملك (٢٠٠٧). " مفهوم الشعريات في الفكر النقدي العربي "، مجلة بونة للبحوث والدراسات، ٧–٨، ١٨.

References

Abbass, I. (1987) . *History of Arab Literary Criticism.* 2nd Edition. Al-Thagafa Publishing House.

Ali, J. (1978) . *Al-Mufasal of Arab History in Pre-Islamic Period* .Beirut . Al-Malayin , Al-Nahdha Library

Al-Khamri, H. (1990) . *Structure of Critical Discourse*. Baghdad : General House of Culture Affairs

Al-Jumahi, S. (1980) . *Tabagat fuhul Al-Shuara* (Classes of Champion poets). Al-Madani Publishing House.

Fadhel, S. (n.d.) . *Literary Significance production* .Cairo : Makhtar for Publishing and Distribution.

Ibn Mandhur, A . Jamal Al-deen (1997) . *Lisan Al-Arab* .Beirut . Sader Publishing Hoiuse.

Man, Paul de (1995) . *Blindness and Insight*. 1st Edition . UAE

Matloob, A. (2001) . *Ancient Arab Criticism Terminologies*. Lebanon.

Mumni, Q. (n.d.) . *Poetry Criticism in the Fourth Century AH*. Al- Thagafa Publshing House.

Murtad, A.(2007) . *Notion of Poeticalness in Arab Criticism Thought* . Pune Research (7-8) : 18

Muwafi, O. (2001) . *Studies in Literary Criticism* . 4th Edition. . Cairo . Al-Maaref Publishing House.

Nakouri, E. (1984) . *Critical Term of Literary Criticism* .4th Edition. . Libya. General Institution for Publishing , Distributing and Advertising

Sharaf, H. (n.d.) . *Arab Literary Criticism*. Al-Shabab Library

Tabanna, B. (1969) . *Studies in Arab Literary Criticism* . 5th Edition . Cairo. Anglo-Egyptian Library.

Weghlissi, Y. (2008) . *Terminology Problem in Arab New Critical Discourse*. Algeria. Elikhtilef Publications